لرقي الامم في كل زمان ومكان ثم ما استفاده سلف الامة منها في تفصيل ليس هذا المقال بالذي يتسع له فأكتفي بهذه الكلمة كما أكتفي من بيان فوائد النظام بأن مدة تحصيل العلوم الدينية والدنيوية لا ينبغي أن تزيد فيه عن مدة التحصيل في الازهر لتلك الكتب التي لا غناء فيها وهي خمس عشرة سنة أما العلوم الازهرية فيكفي لتحصيلها في غير كتبهم هذه وعلى غير طريقتهم في التعليم خمس سنين

اذا حسنت حال التعليم في الاسكندرية فان حسنها يكون تمهيداً لما يريد المصلحون من ارتقاء علوم الاسلام فيها وان الشيخ محمد شاكر من الفطنة ما نرجو أن يرتقي به في السلم الذي وضع للازهر من قبل مع الاستعانة بالاذكياء العارفين بنظام التعليم كريدي الاستاذ الامام الذين عرف لهم حقهم وشكر لهم صنيعهم بمساعدته في تقريره الاخير . وما وضع للازهر انما كان موقتا روعي فيه ضعف الاستعداد . وكان في عزم المصلح الاول رحمه الله تعالى أن يعد به القوم الى نظام أكمل منه تزاد به العلوم ويجعل فيه فرق تختص باتقان بعضها بعد الالمام بجميعها . وسنبين بعض ذلك عند الكلام على التدريس والعلوم

باب الخبر والانشاء

مسألة مكدونية

﴿ أوربا وتركيا — أو الدين والسياسة ﴾

اشتد ضغط دول أوربا على دولتنا في هذه الايام يعرض عليها أن يكون لهن مراقبون لمالية الولايات المكدونية ويحملنها على اجابتهن الى ما طلبن بالتهديد والوعيد . وما هذه المراقبة التي يطلبن الاجل ادارة تلك البلاد — وهي سياج عاصمة الدولة — أوربية محضة . وقد كنا حين نجم ناجم الثورة في مكدونية من نحو ثلاث سنين لا نخشى الامن روسيا لأنها كانت تستعد للحرب فاذا هي تستعد للياباني التي جعلت استعدادها في البر والبحر هباء منثورا

كتبنا في الجزء الأول لسنة المنار السادسة (سنة ١٣٢١) الصادر في ٣٠ مارس سنة ١٩٠٣ م نبذة في ثورة مكدونيه قلنا فيها مانصه : ولقد كان الانكليز عون الدولة العثمانية على روسيا فحال لون السياسة الجامعة بينهما وتغير شكلها ، وتبدل السلطان عاهل الألمان بالانكليز وهو ملك يَطْعَمُ ولا يُطْعِمُ شديد الجشع قوي الطمع اذا رأى روسيا وقد جد جدها يكتفي منها بلقمة كبيرة يلتهمها ويتركها بعد ذلك وشأنها ، ولا يطوف في خاطر عاقل انه يسمح بجندي ألماني واحد لصديقه السلطان ، اذا نزل مع الروس في ميدان الطعان، اه واذ ظهر لنا أن اليابان كفتنا الخوف من روسيا بما نكلت بها وبما أعقبت حربها اياها من الثورة التي كادت تدمر البلاد الروسية وتذهب بسلطانها المطلق وتقبض ظله عن الأرض فلنذكر ما كتبناه في تلك النبذة عما نخشاه من أوربا على تلك البلاد اذا أمنا روسيا وعن اضطراب المسلمين لذلك ثم نقفي عليه بما حدث في هذه الأيام. قلنا هناك:

«كانت قلوب المسلمين في العيدين (أي عيدي سنة ١٣٢٠) محوّمة فوق بلاد مراكش تؤلمها فتنة الخارج كما تسوءها سيرة المالك ، وقد دخلت عليها السنة الجديدة فاستقبلها هم أكبر من هم مراكش — هم الدولة المسلمة الكبرى (وقاها الله تعالى) ولا خوف عليها الا من روسيا فاذا كانت لا تريد سوءا فدع البلقان يضطرم بنيران الثورة اضطراماً ولا تخش مغبته فالدولة قادرة على تأديبه . وأسوأ عاقبة تنتظر حينئذ استقلال مكدونية أووضعها تحت حماية الدول الكبرى على المذهب الجديد في سير أوربا بالمسألة الشرقية — مذهب التفكيك وتحليل العناصر — وهذا المذهب خير لدول أوربا وأسهل طريقاً من حرب الدولة لأجل الفتح والتغلب لان هذا يعوزه الاتفاق على ما يتعسر الاتفاق عليه و يقتضي بذل أموال غزيرة وسفك دماء عزيزة . وهو خير للشرقيين أو المسلمين وأسهل عليهم أيضاً لأن كل عنصر ينحل من عناصر بلادهم وكل قطعة تنتقص من أرضهم تفيدهم عبرة كبرى وتعلمهم كيف يحفظ الباقي. فاذا لم يتعلموا بتكرار النذر ، وأنواع العبر ، وكانوا يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، فهم أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ،

«مسألة مكدونية مسألة عشواء والحكم فيها غامض للمتقدم ولأن النصارى فيها وفي جميع مابقي تحت حكم العثمانيين من بلاد أوربا ومايدانيها كبلاد الارمن قد توجهت نفوسهم الى الاستقلال واعتقدوا ان أوربا نصيرة لهم وأن الذريعة الوحيدة لاثارة نعرتها عليهم وتصديها لفصلهم من جسم الدولة الثورات التي تضطر الأتراك الى سفك قطرات من دمائهم تأديباً لهم » اه المراد منه

ثم كتبنا مقالة في الجزء الحادي عشر الصادر في غرة جمادى الثانية من تلك السنة (١٣٢١) رجحنا فيها ان استعداد روسيا الحربي انما كان لاجل توقع الحرب مع اليابان وان الخوف على دولتنا يومئذ انما هو من الجانب الذي كانت ترجوه من قبل وهو انكلترا وأوضحنا بعض الايضاح ماعليه أوربا من التحامل علينا ولا بأس بذكر شيء من ذلك هنا . قلنا بعد الكلام في عدوان البلغار وأخذها بمحضاة الثورة في مكدونية تعويلا على مساعدة بعض الدول

« أيعقل ان تتحرش بلغاريا الضعيفة بالأسد التركي الا اذا كانت واثقة بأن وراءها أسدا أو أسودا ؟ اذا لم يكن الأسد الروسي الذي أعطى هذه البلاد استقلالها هو الذي يحميها من قرنه التركي فعلى أي الاسود تعتمد ؟ الأقرب عندي أن يكون الخوف اليوم في موضع الرجاء بالأمس فاننا لما كنا نسيء الظن بروسيا أحسنا الظن بالانكليز حتى توقعنا أن يكون الغرض من زيارة ملكهم لفرنسا الاتفاق معها على عدم الرضى من روسيا بمحاربة تركيا لكيلا تساعدها فرنسا على ذلك ولما ترجح عندنا الآن أن روسيا لا تريد حرباً ولا تضمر غدراً (أي لنا) انعكس الرأي الأول وظننا السوء بانكلترا وتوقعنا انها قد اتفقت مع فرنسا على النفخ في نار الثورة . . . الى أن قلنا

« ان سلوك أوربا الجديد في حل المسألة التي يسمونها الشرقية ويعنون بها الاسلامية سلوك عجيب وأعجب صوره وأغرب أشكاله ما كان من نتيجة محاربة الدولة العلية لليونان فقد جعلت أوربا الدولة البادئة بالعدوان المغلوبة في ميدان الطعان هي الفائزة بالنتيجة اذ جعلت ولي عهدها حاكماً على ولاية عظيمة من ولايات الدولة المنتصرة (وهي جزيرة كريت) على أن تكون هي الحافظة والحامية لتلك

الولاية وما يدرينا لعلهم يريدون الآن سلخ ولايات مكدونية من الدولة بمثل تلك الطريقة، وهكذا يقطعون في كل مرة عضوا من جسم الدولة يغذون به من يرونه أولى به حتى لا يبقى الا الرأس والقلب فيسهل على الرؤس الاتفاق على الايقاع به

« اننا نرى دول أوربا عابثة في كل حين باستقلال الدولة، ففي كل حادثة لهم أوامر تطاع، ومناهي تجتنب، والدولة راضية وكل ما تجنيه في بعض الاحيان لا يخرج عن مراوغة في تنفيذ بعض الأوامر أو إرجائها وكلما تم للدولة ضرب من ضروب هذا الظفر الوهمي هتف المغرورون مع الغارّين . نحن أصحاب السياسة المثلى، والكلمة العليا. فاذا انتهى أجل الارجاء، وحل اليأس محل الرجاء، سكتوا واجمين، أو خدعوا أنفسهم معتذرين،

« يقول الاوربيون ان الذي أذل تركيا وذلها لهم هو ظلمها لمن ليس على دينها من رعيتها لا سيما النصارى . ولنا أن نقول ان وجدنا ساسا : اذا كانت هذه الدولة تظلم المخالفين لها في الدين فلماذا يهرب اليهود من مشرق أوربا (روسيا) ومغربها (اسبانيا) الى بلادها ؟ أمن المعقول أن يهرب الناس من ظل العدل الى هاجرة الظلم واذا زعمتم أنها تظلم النصارى خاصة فكيف يعقل أن تظلم المحالف الذي يجد أنصارا أقوياء ينتقمون له وتدع من لا ولي له ولا نصير، واذا كانت أوربا تعبث باستقلال الدولة وتفتات عليها في سياستها الداخلية حبا في العدل بالمظلومين فما بال هذه الرحمة لا تحرك لهم عاطفة على اليهود الذين يستحر فيهم القتل بأيدي النصارى لانهم يهود ؟؟ ليس موقفنا مع أوربا موقف جدال وحجاج ولكنه موقف قوة وضعف فالقوة تفعل والضعف ينفعل اه المراد منه

هذا شيء ما كتبناه في المسألة والعهد قريب بظهورها وقد كرت السنين فما زادت هذه الآراء الا بيانا ورجحانا . وضمت أوربا ضباطا من جندها يحفظون الأمن في الولايات المكدونية مع رجال الضبط العثمانيين ليكونوا مطلعين على كل ما يقع في البلاد ثم أرادت القبض على أزمة المالية والادارة فاقترحت على الدولة تعيين مندوبين ماليين من الدول العظام يضمون الميزانية للبلاد وينظرون في أمر العمال والمستخدمين من تولية وعزل ويتصرفون في الجباية والصرف ويكونون تابعين في أعمالهم

لسفراء دولهم . فخلاصة هذا الاقتراح أن تكون مالية تلك الولايات وادارتها في أيدي دول أور با كأن أمر الأمن في أيديهم وللدولة اسم السلطة والسيادة لا ينازعها فيه منازع الآن لما عليه أمراء الشرق وملوكه من التفاني في عشق الالقاب:

رفض السلطان قبول هذا الاقتراح الجائر الذي يقلص ظل سلطته عن تلك الولايات التي هي حظيرة لعاصمة ملكه فألبت الدول عليه وهددته باختلال بعض الجزائر العثمانية التي تقرب من باب الاستانة (الدردنيل) فأصر على الإباء وله الحق في ذلك ولكنهم قوم يطمعون في ضعفه

ماودع المسلمون رمضان واستقبلوا عيد الفطر الا وقلوبهم تكاد تتفطر أسى وحزناً ، وحقداً وضغناً ، الأسف والحزن على ماوصلت اليه الدولة الاسلامية الكبرى من الضعف باهمال اصلاح بلادها ، والحقد والضغن على أور با المتعصبة التي تريد محو سلطة المسلمين من أور با ثم من الأرض كلها . وقد رأيت من مسلمي هذا القطر المبارك فوق ما كنت أعتقد فيهم من الغيرة والتألم على الدولة العلية أعزها الله بالعدل والعلم والاصلاح ، ومن البغض لأعدائها خذلهم الله بالتفرق والتعادي والانقسام ،

والرأي عندي وعند كل من تكلمت معهم في هذا الأمر ، من ذوي الرأي والفكر ، أن اصرار الدولة العلية على رفض مايطلب الدول منها هو الصواب وأن شر عاقبة تتوقع له لهي خير منه أو أضعف شراً وأقل ضراً ، ان استيلاء الدول على تلك الولايات بالقوة بعد مقاومة الدولة لهن لهو خير من تسليمهن ادارة ماليتها بالتهديد والانذار والوعيد فان كلا الأمرين خسران مبين للبلاد وفي الخنوع والاستسلام للوعيد خسران معنوي أعظم وهو خسران الشرف والاستقلال يقابله في المقاومة مع حفظ هذا الشرف فوز معنوي عظيم وهو ايقاظ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإشعارهم بالخطر الذي يتهدد سلطتهم من حيث هم مسلمون ولاشيء أنفع لهم في هذا العصر من هذه اليقظة والشعور وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول ان الحرب العثمانية الروسية الأخيرة قد كانت هي المبدأ لهذه الحركة الفكرية العامة في المسلمين وان كان البلاء لينزل من قبل هذه

الحرب في القطر الاسلامي فلا يهزله القطر الذي يجاوره دع البعيد عنه الذي انقطعت دونه أخباره وقد صرنا نرى المسلمين في كل قطر يتألمون لما يصيب اخوانهم في سائر الاقطار لا سيما اذا كان المصاب من اعتداء الاجانب عليهم

ان ساسة أوربا يقدرون هذه الحركة التي أشار اليها حكيمنا قدرها، ويحيطون بما لم نحط به من خبرها، لذلك أجمعوا كيدهم على ذبح العفريت بسيفه الخشبي (*) اذ يتعذر قتله بسواه أعني أن يزيلوا السلطة الاسلامية من الارض بنفوذ رؤسائها من السلاطين والأمراء - يدخلون في أمر الواحد منهم ويدعونه الى ما يريدون، فينالون به نيلهم والمسلمون وادعون ساكنون، يحسبون أن أولي أمرهم منهم وأنهم لأمرهم يخضعون، فمثل أوربا في سياستها هذه وفي انتقاصها الممالك الاسلامية من أطرافها كمثل الطبيب يخدر العضو ويقطعه حتى لا يشعر صاحبه بشدة الالم ولكن الطبيب يعمل هذا لمصلحة الجسم وهم يعملونه لمصلحة أنفسهم باعدامه بل التهامه

يقول قوم ان الدافع لاوربا على هذا هو التعصب على الاسلام ولذلك لا نرى الدول النصرانية تتفق على العبث باستقلال دولة نصرانية فيجب ان يقابل المسلمون ذلك بالتعصب على النصارى كافة . ويقول آخرون ان أوربا بريئة من التعصب الديني الذي لا يعرف في غير الشرق وانما هي المصالح السياسية لا مذهب لها ولا دين ولذلك ينتصر الامبراطور غليوم النصراني للخليفة المسلم العثماني وتطارد حكومة فرنسا الرهبان وتتبرأ من الكنيسة . والصواب في المسألة ان أوربا لا تتعصب على المسلمين من حيث هم مسلمون يقرون لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويصلون الى الكعبة ويعبدون الله تعالى على غير الطريقة التي يعبده بها سواهم وانما تتعصب عليهم لان لهم سلطة ودولا فالذين سموا تعصبها

(*) في الحكايات الخرافية التي يلهي بها الامهات أطفالهم ان للعفريت سيفاً خشبياً اذا ذبح به مات واذا ذبح بسيف آخر من الحديد والفولاذ فانه لا يصيبه ضرر، ولا يحدث منه في رقبته ولا جسمه أدنى أثر، ولكنه ينتبه لمحاول قتله فيفتك به وكذلك المسلمون لا يسهل اهلاكهم الا بواسطة رؤسائهم الذين هم سيوفهم ولذلك نحاول أوربا أن تكون هذه السيوف الخشبية في يدها فانهم أصلح الراعي والرعية

سياسيا قدصدقوا ، والذين سموه دينيا لم يكذبوا ، فاذا كان لايهمها أمر الدين الاسلامي من حيث هو اعتقاد وعبادة ، فأكبر همها ان لايكون له سلطان ولا سيادة ، ألايجدر بالمسلمين اذاً ان يحرقوا عليها الأرض ، ويعتقدوا ان شرف سلطتهم لايسلم حتى يراق على جوانبه الدم ، بلى وانما موضع الخطأ ان يحاولوا الانتقام من الذميين والمسالمين ، والله تعالى يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » فايذاؤنا النصارى في بلادنا ، عصيان لديننا وخراب لدنيانا ،

اذا كان المسلمون قد شعروا شعورا صحيحا بالخطر الذي ينذر سلطتهم ، والبلاء الذي يتهدد ملتهم ، فعليهم ان يعرفوا كيف يقاومون العدوان بمثله لان الله تعالى يقول «ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله» أي ولا تبغوا وانما تعتدي علينا أوربا بقوة أمتها وعلمها وصناعتها ، ونظامها وثروتها ، ودهائها وحكمتها ، ولذلك تستفيد مما بقي لنا مالا نستفيد . فما دمنا على هذا الجهل والخلل ، والتفرق والفشل ، فاننا لايمكن ان نقف أمام أوربا . فاذا لم يظفروا بمكدونية تمام الظفر في المرة ، فانهم يظفرون بها وبغيرها اذا أعادوا الكرة ، ولنا فيما مضى عبرة وأي عبرة ، بماذا نقاومهم ؟ رؤساؤنا مستبدون ، وحكامنا ظالمون ، وعلماؤنا جامدون ، وأغنياؤنا ممسكون ، وخواصنا مترفون ، وعوامنا جاهلون ، فاذا رضينا لأنفسنا بهذا فاننا نكون من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ولا ينطبق علينا قول ربنا « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » فعلينا أن نبذل المال ، ونجمع شمل الرجال ، لترقي الامة فتلزم الحكام باصلاح الحال ، فان العصر عصر الامم لاعصر الافراد وعصر النظام والاجتماع لاعصر الاستبداد ،

وفاة الشيخ عبد القادر الرافعي

الشيخ عبدالقادر الرافعي الكبير أشهر فقهاء الحنفية في الازهر بل فى البلاد العربية كلها أتقن المذاهب تعلما وتعليما وتأليفا وعملا بالمحاكم الشرعية فقد كان رئيس المجلس العلمي في المحكمة الشرعية بمصر . وقد وقع اختيار الحكومة على

ترشيحه لمنصب الافتاء فسمي مفتيا للديار المصرية في أوائل رمضان الماضي * فلم يلبث ان توفي فجأة ليلا وهو في مركبته يقصد زيارة أحد نظار الحكومة والناس يقصدون داره لتهنئته فاستحال السرور بالمنصب عند أهله حزنا وتحولت تهنئتهم به تعزية لهم عنه وشيع جنازته مع العلماء والوجهاء نظار الحكومة و بعض كبار حاشية الأمير وصلي عليه في الجامع الازهر ودفن في قرافة المجاورين وكان ذلك اليوم موعد نشر خبر تعيينه مفتيا في الجريدة الرسمية فلم ينشر

آل الرافعي في غنى عن التعريف فعلماؤهم وأدباؤهم وخدمة الحكومة منهم كثيرون في وطنهم (سوريا) ومهاجر الكثيرين منهم (مصر) وكان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كبيرهم في العلم والوجاهة ومن ذوي الدرجة الاولى في الازهر. ومما كان يمتاز به على أكثر الشيوخ البحث في الامور العامة وكثرة السؤال عن أحوال الدولة . وكان بعيدا من الفتن والخوض في الناس وقورا مهيب المجلس ذا أخلاق شريفة حافظا لكرامة العلم محترما عند أهل الدنيا كاحترامه عند أهل الدين . تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه وأحسن عزاء والده وأهله وأسرته الكريمة عنه

﴿ إحياء سنة أزهرية ﴾

كان من عادة أهل الازهر اذا مات عالم منهم أن يجتمعوا في الازهر يوم جمعة بعد موته لقراءة ختمة يهدى ثوابها الى روحه ولانشاد المراثي التي يرثيه بها الشعراء منهم فأبطل الاصلاح هذه العادة مع عادات أخرى مثلها ولكن شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربيني أمر بالعود الى هذه العادة التي سماها المؤيد «سنة حسنة» فاجتمع الازهريون لرثاء الشيخ عبد القادر الرافعي في الجامع الازهر رحمه الله تعالى وحضر الاجتماع خلق كثير قرءوا وأنشدوا مرثيه لبعض الشيوخ ثم وزعوا على الحاضرين شيئاً من الحمص والزبيب كان يتناثر منهم في المسجد وهو من تمام سنتهم التي أحييت بعد أن ماتت وانه ليغلب على ظني أن الرافعي رحمه الله تعالى لو كان حيا واستشير في احياء هذه السنة لاشار بعد احيائها ولما سماها سنة حسنة بل بدعة سيئة واذا كانت أمثال هذه السنن صارت تحيا بعد موتها فبشر المسلمين بحياة العلم والدين.